"النشيد الجسدي" لضياء العزاوي :

لوحات وقصائد تخلّد ثلّ الزعتر

من لوحات الكتاب

ايحاء من قصيدة محمود درويش

صدر مؤخرا عن دار المثلث ، كتاب ضياء العزاوي « النشيد الجسدي » ، ويحتوي ثلاث قصائد للشعراء : محمود درويش ، الطاهر بن جلون ويوسف الصائغ . وقد اضاف اليها ضياء العزاوي لمساته التشكيلية الباهرة لياتي الكتاب شاملا في تخليد ذكرى ذلك المخيم الفلسطيني ، تل الزعتر .

الكتاب شهادة وفية ، انه نشيد الفقراء في زمن حصارهم ، تلويحة الخارجين من عذابات لا تصدق ، انحناءة جليلة للشهداء وهم يدخلون بواباتهم مكللين بصمودهم واعتزاز الاطفال العزل ، والثكالى .

وحين يكون الكتاب عن ابناء فلسطين ، فان الصور تتدافع لتؤكد نضال شعب يتواصل ضد الواقع بكل خشونته ، وضد من يستميت للابقاء عليه كما هو ، كما كان .

واذا كان هجوم القوى الفاشية قد استهدف اقتلاع رمز من رموز هذا الشعب ، قوس من اقواسه المضيئة ، فان صمود المخيم ، بامكانياته المحدودة ، ضاعف الخنادق في الجنوب وانتصبت جماهير من هذه الامة لتدافع ، لترسم ملامح مستقبل مكتظ بفرح الاطفال وابتسامات الامهات . هذا المستقبل الذي لم يستسلم ، من أجل تحقيقه ، المقاتلون في ذلك المخيم الكادح . اولئك الذين شقوا طريقهم وسط اللهب ، عبروا الجبال واضافوا الى السواعد المقاتلة تجربة فريدة في حب الارض ورفض الخنوع .

كتاب العزاوي « النشيد » ثمين : فالذاكرة ، حسب المصطلح الوجودي ، لها صفة « سوء النية » ، وما في الكتاب يفرض ، بل يجردها من لعبتها تلك . الذاكرة ، بعد قراءة القصائد والاعمال التشكيلية للعزاوي ، عارية من اوهامها ، انها في حضور أمام نفسها ، بلا أقنعة ، بلا عزاء ، اما النسيان ، فان المخيمات الاخرى موجودة وكل واحد منها يحتضن الذكرى ويجد فيها درسا يمارسه كل يوم . النسيان لا يشمل ، لن يشمل « تل الزعتر » وامة باكملها كفيلة بذلك . لم ننس تفاصيل تاريخنا ، ولن نفعل .

يؤكد العزاوي في اعماله في الكتاب على الامل : ففي كل لوحة تنتصب ◀

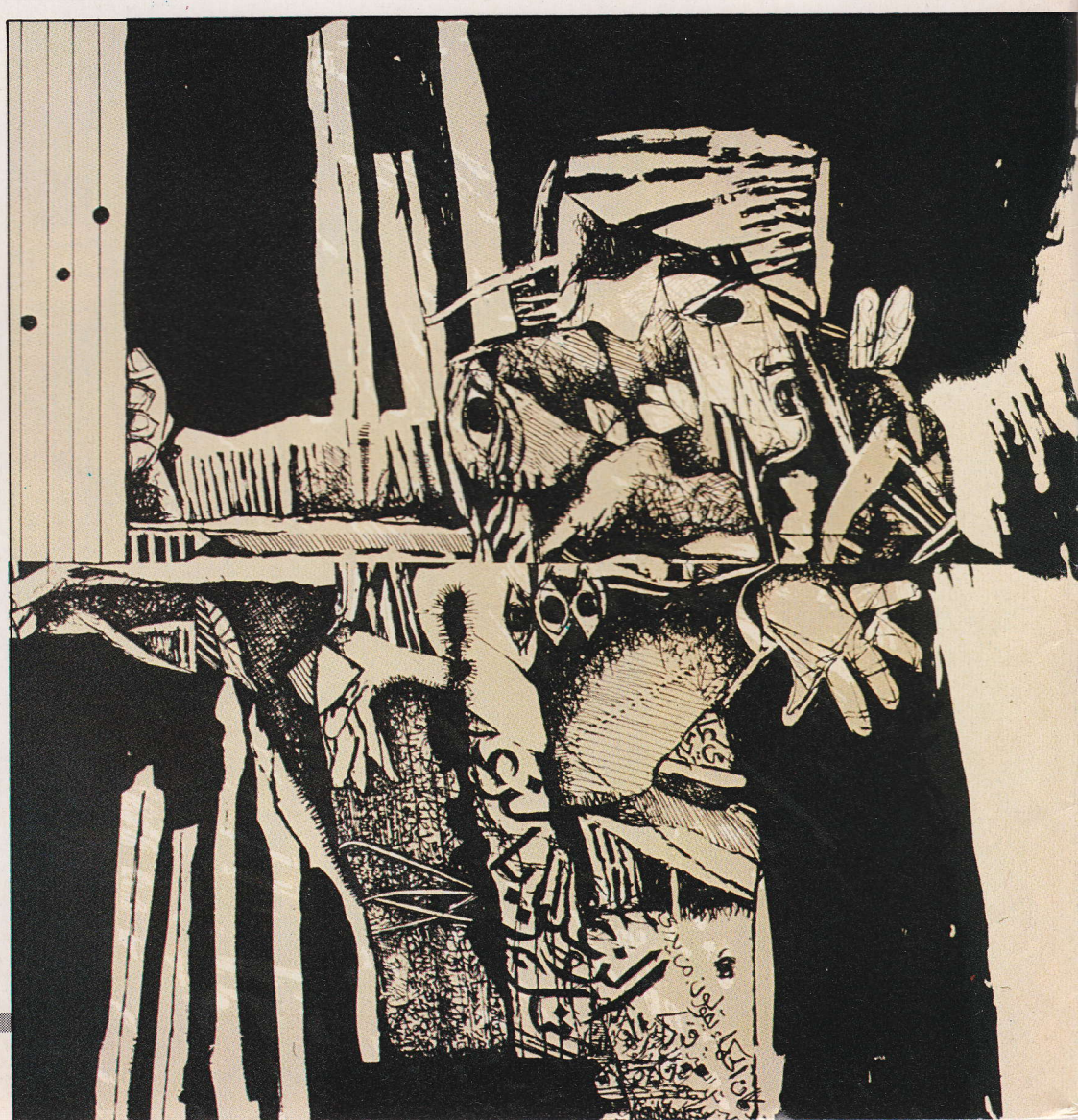

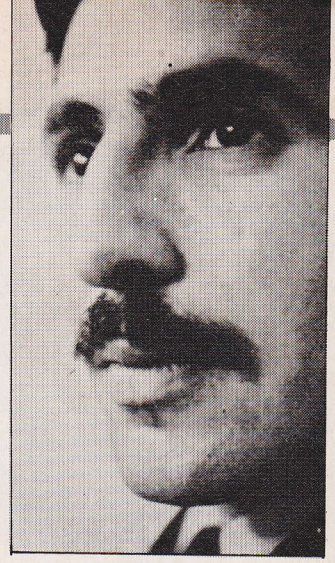

ضياء العزاوي

كتاب

الوجوه لتحدق الى الابعد . مشاهد الماساة تتكرر تحت العيون ، لكن ثمة ما يتقدم من الافق . والوجه الفلسطيني ، الفدائي . الذي رافق اعمال العزاوي خلال السنوات العشر الاخيرة ، لا يوحي معنى تحريضيا وحسب ، بل يختصر هموم الانسان ، عذاباته وآماله ، في كل مكان . الاشكال الفلسطينية في انجازات العزاوي الاخيرة في الكتاب ترتفع الى مصاف العالمية . ولهذا فانها ، في معظمها ، محاطة بفراغات بيضاء : انها رؤيا ، انها فضاء الانسان في العالم .

يقول محمود درويش في القصيدة الاولى « أحمد الزعتر » .

جسدي بيان القادمين من الصناعات الخفيفة
والتردد .. والملاحم
نحو اقتحام المرحلة

وينجسم نشيد الطاهر بن جلون مع صوت محمود درويش ، قائلا :

النهار المنتشي بتحليق الطيور
يؤيد حقنا
المكفنون بالطين والهاوية
الذين اعدمهم الصمت
يعودون
النجوم تغادر السماء
وتحكي عن تل الزعتر :
انسانية ..
اية انسانية تستهرم في هذا المارستان
على ضفة الهزيمة
على سد الكلمات المتلاشية في الخطب ؟

يوسف الصائغ يكمل النشيدين الاولين بـ :

قد يكبر تل الزعتر
فيصير عواصم للوطن الاكبر
او
قد يصغر هذا الوطن الاكبر
حتى يصبح بيت صفيح ،
في تل الزعتر .

لعلنا لا نغالي اذا قلنا بان اعمال العزاوي في الكتاب جاءت ضرورية للاناشيد الثلاثة للشعراء ، انها الوتريات المرافقة في سمفونية كاملة تمجد مقاومة شعب ، امة ، وترافقها نحو مستقبل مؤكد ومشرق .

كتاب « النشيد الجسدي » شهادة وفاء لأربعة رسامين ، احدهم شاعر ، باعماله التشكيلية العالية ، وهو ضياء العزاوي .

كامل عبد الرحيم

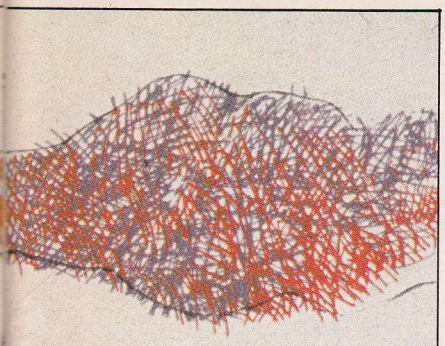

من اعمال العزاوي
المرافقة لقصيدة بن جلون

واخرى مع قصيدة
الصائغ